دير القديس أنبا مقار

ميامر

مار يعقوب السروجي

على ميلاد ربنا بالجسد

الجزء الأول

الفهرست

١- على بدء بشارة القديس يوحنا « في البدء كان الكلمة »	١
٢- على الوحيد الكلمة	١٤
٣- على اسم عمانوئيل	٢٩
٤- على ميلاد ربنا يا لجسد	٤٢

١ـ على يد بشارة القديس يوحنا
« في البدء كان الكلمة »

—

٥ أيها الكلمة المولود ، غير المنطوق به من الطائفتين ،
بك أكتفي لأمجّد خفيتك .
٥ أيها المرتفع من الأزمان ، غير الزمني ولا يُحدّ ،
أعطني أن أخرج أوقات أيامي في الترتيل لك .
٥ صَوِّر افكاري في درسك بإفرازٍ ،
لكي من التقليم أقيم مثالاً لتمجيدك .
٥ ليس أنت محتاجاً إلى تركيب الترتيل ،
بل لكي يربح من مفاوضتك كل من يَعِدّ فيك .
٥ ليست كافية لك أفواه بيت جبرائيل ،
فالتراب الحقير بماذا يتكلم ليُخبِّر بعظمتك .
٥ إن يهدس فيك بالتفتيش يسقط من فحصك ،
لأنك لن يبلغ ليحاد ارتفاع خفيتك .
٥ يُشجَب منك بحسارة السؤال ،
لأن علوّك لا يُحبَس من المفسرين .
٥ أيها الكلمة الذي هو البدء كيف أبلغ إليك ،
وبأية أصواتٍ أرتل خبرك بين الأرضيين .
٥ بفم النفس لا يتكلم اللهيب ،

ولا أيضاً الشمع يهدس قط في جمر النار.

* إن يُرحَل الغبار للريح تُبدّده،
وإن يلغو بكلامها يضمحل.

* إن يجرّم التراب على المدّ العظيم هي جسارة،
كيف وبماذا نستطيع أن نقول نحن خبر الكلمة.

* مخفي هو في مكانه ولا يتنفس،
استعلانه مرتفع، وبغير الحب لا يُنطق به؛

* كيف ترى أبلغ أنا إلى خفيته،
وأنتم أيها الساهمون كيف تنصتون لاستتاره،

* أيها اللسان بأية قوة تحكي خبره،
أيها السماع بأية أبواب تقبل حِدّته.

* أيتها الشفاه كيف تبلغين إلى فحصه،
أيتها الآذان كيف تخبطين دهشه.

* كثيف هو اللسان ليُخرج الخبر اللطيف،
ويَدهش السماع بدخول أصواته.

* كسيحة هي أصوات أقوالي من السعي بخفة،
لأنقل إليكم خبر سيد الأزمان.

* لا آذانكم تستطيع أن تقبل،
ومن الملائكة هو أيضاً مرتفع بخفيته كثيراً.

* أخذت أتكلم على الله الكلمة،
وهو يكون صغيراً عندي.

أيها السامعون، ليس من الأرض تتنبّؤن،
تعالوا نذهب لمكان الكلمة لنسمع خبره.
هو نفسه مكان خبره، وهو الضابط له،
ومن دونه لا ينطق الخبر به.
ليجتمع مفكروكم هناك من العالم ومن الأرض،
ولترتفع أفكاركم هناك بعيداً عن كل الحدود.
وحيث لا يكون للملائكة طريق ليتقدموا،
يواجه الإيمان ويدخل ليتكلم.

بشارة يوحنا

كلمة نقية رسولية تخطب منا؛
لأن بها يتكلم خبر الابن بغير شكوك.
فلنحمل آذاننا إلى كيثارا التلمذة؛
لأنه أرهف حسناً على الخفيات التي كانت مستورة.
ادخُل يا يوحنا وادخِل خبرك،
ليفهّمنا بالاستعلانات الإلهية غير المدركة.
حرّك أصابعك على قيثارا الرسولية،
فتتحرك فيك أوتار الروح لتتكلم.
بشارة جديدة سَمِعتْ الأرض من كلامك،
وحلّت الشكوك في العالم؛
فخصبتموه أن يتعبد للرب يسوع المصلوب.

- اظهر بدهشٍ حقيقة ابن الله، لتتعلم البيعة؛
لأنها تطلب خبره باليقين.
- تكلم عندها من مكان خفيتك،
كما في رسوليتك من قوةٍ لتتكلم.
- ارفع صوتك ليسمع كل أحد تعليمك،
مَن هو سيدك وأين هو مكانه،
ابن مَن هو وإلى مَن وحتى صار.
- هو ابن حقيقي، أو لدله من النعمة؛
من العلو هو، أو الآن دخل ليكون إلهاً.
- إن دعوتني لأسجد لمخلوقٍ، هذا تجديف؛
وإن كان (قد اتخذ) في زمانٍ، فليس هو إلهاً.
- نسمح الآن من ابن زبدى ماذا قال؛
والحق يطرد النقسمة من جميع الآذان.
- قال: « في البدء كان الكلمة »، والكلمة ولدُ الآب؛
انظر الآن قوة الكلمة، أين هو مكانه.
- فاض خبر الابن الكلمة من النفسير؛
وها هو يتباهى بخفيته عند والده.
- ها استمعت: « في البدء كان الكلمة »؛
وأما كيف، فلا يجسر أحد بالكلام.
- هذا خفيَ عن الخواصّ وغير مدروك؛
ولا تنطق به ألسنتنا النجسة.

- هو الكلمة ، ليس تَكلّمًا بل "كلمة" ؛
ليس إنه صوتٌ ، بل كلمةٌ غير مُدرَكة.

الكلمة والصوت

- الكلمة تُحرك جميع الأصوات عند البراعمين ؛
حيثُ أنها (كائنة) بذاتها داخل أبواب النفس.
  - الصوت يتحلّل ويشتد ويمضي ويجيء ؛
  ومن أجل هذا هو تحت الحدود؛
  - تصيده الآذان وتحده داخل ضميرها ؛
  وتضبطه كله بحدوده لأنها أعظم منه.
- الكلمة لا تخرج مع الصوت من داخل الضمير ؛
ومن أجل هذا هي فوق الحدود في خفيتها.
- الكلمة خفية جداً من السماع في مكانها ؛
في لا تتحرك قط لتخرج من جوهر النفس.
- كامنة هي في العقل ومُسبّحة فيها جميع الأفكار ؛
ولا تتحلل مع الصوت لتمضي وتسير.
- الكلمة لطيفة هي وخفية داخل الضمير ؛
وهذه الآتية إلى السماع هي أصواتها.
- جُعل اللسان باب أسرارها عند السامعين ؛
وعندما تأمره يخرج ويقول ، فتسمعها.
- تُرمز للفم فيفتح أبوابه بسرعة ؛

وترسل الأمواج كالرسل لأفعالها.

- الكلمة حالّة داخل المملكة، وهناك تتباهى؛
وفي طريق الفم بأمرها تسرع الأمواج.
- جميع الكلام محبوس في الكلمة إذ هي خفية؛
ومنها يخرج إلى السماع عند البراعيين.
- بالفم ينطق الصوت؛
والكلمة كائنة في الضمير بمسكنها اللطيف.
- بين اللسان والأسنان تتحرك حدة الصوت؛
وتعطي الشفاه امكانًا جمّ فرفها.
- قوة الكلمة هي داخل ضمير النفس؛
وباللسان ينطلق الصوت ويندفع.
- هي الكلمة من مكان خفيتها تخطّ ذاتها،
وإن لم تفض من الضمير بصوتٍ مسموع.
- هي في حضن العقل كائنة، خفية وخفية معه؛
وعندما تتكلم هي فيه ومعه وبمصحبته.
- عندما تُرسَل لا يخلو مكانها منها؛
بل تبقى كما هي أين هي وحيث هي.
- لا يتفرغ العقل منها عندما تُرسَل؛
ولا تتركه وتخرج منه، لأنها فيه بجميعها.
- الكلمة هي لنا واحدة، تحد الجميع وهي لا تحد؛
وجميع الكلام فيها يتكلم غنيًا.

ابن الله الكلمة

- بالرب الكلمة يُعرف كلام اللاهوت ؛
  وبه تتسق بهج جميع رموز الخليقة.
- في ذات الآب مخفي هو ، وينطق دون أن يتركه ؛
  يتكلم وهو فيه ومعه وعنده .
- ها منذ الأزل بالابن الكلمة يتكلم الآب ؛
  وبه أقام العوالم وأتقنها .
- واحد هو الكلمة ، وجميع المتكلمين هم منه ؛
  وليست في أزليته حركات بينه وبين الآب .
- من حيث هو ؛ هو معه بغير ابتداء ؛
  وجميع الأزمان هي منه ، وبه أُتقنت .
- هذا هو الكلمة الذي لا يُنطق (به) ولا من الآب ؛
  به هو النطق ، وليس له يتكلم .
- دهش عظيم وليس قول ، لأن هو القائل في خفيته ؛
  وكل ما قيل من الآب به تكلم .
- به تجلل ليخلق العوالم من لا شيء ؛
  ومن دونه لم تكن ولا واحدة من جميع ما صنع .
- ليس هو قولاً قاله الآب لندعوه قولاً ؛
  إنما به قال كل ما تكلم ، حيث هو فيه .
- ليس هو لفظاً ولا صوتاً بل هو كلمة ؛

لأنّ به الكلام الكثير، وهو غير مُدرَك.

□ ليست كل كلمة قالها الآب هي ولد؛
ولا كل الأصوات هي "الكلمة" بل أصوات.
□ واحد هو الكلمة المولود من الآب وحيداً؛
وجميع كلامه به قد سُمع عند الخليقة،
□ عندما تسمع: «هكذا قال الرب»؛
ليس كل صوت يخرج منه هو ابن أزليته.
□ قال في إشعياء: «ها ألفاظي التي تخرج من فمي»؛
واللفظ يكون أمراً وليس ولداً.
□ من أجل هذا لم يَدْعُه لفظاً بل كلمة؛
هذا الذي به تُرجَّل جميع الألفاظ.

□ ليس لفظ اللاهوت هو ابننا؛
لأنه ليس ثَمّ أخ للكلمة ابن الأزلية.
□ ميلاداً وُلد هذا الكلمة الأزلي؛
وليس قولاً قيل كما تقول أنت.
□ لو كان قولاً لَما كان كلمة بل صوتاً؛
وبغير صوتٍ لم يتكلم.
□ ليس كلاماً كلّمه الآب ليكون صوتاً،
بل ميلاداً ولده من أزليته بغير ابتداء.
□ مولود هو الكلمة وليس هو نطقاً؛
لأنه هو الله كمثل الآب لأنه من جوهره.

ميـلاد أزلى غير مُدرَك

- أما كيف وُلد فلم تُقَل ولم تُسمح ؛
لأنه لم يكن زمان لم يكن الكلمة فيه
مع الآب والده.

- لم ينطق الخبر جه من الملائتين ؛
إذاً، بُعداً من (تقصى) خبره غير المُدرَك،

- إن بالجدال تدخل خبره، هي جسارة ؛
وإن بالحب تتكلم عنه لا تُذمّ.

- إذا ما سمعت مَن يقول خبراً عن الله بالتحديد
لا تتبعه ؛ فكل واحد يقول شيئاً قليلاً كما يقدر،

- كل مَن ظن أنه يحده يطفئ نفسه ؛
اِقبل هذه : إنه لا يُحد ولا يُترجَم خبره.

- ضع خبره فوق الحدود بغير تفسير ؛
وحين تتكلم تحفَّظ بخبر خفيّة.

- إذا ما تكلمت، هو كما هو غير محدود ؛
وبكل ما فيك من كفاية تحدَّث منه بوجدانك.

- وأنا بكلامي لا أعترف أني أحدّه ،
بل اتكلم عن الله غير المحدود.

- ولأني قد عرفت وأعرف أنه غير محدود ؛
من الآن حتمٌ لي أن أقول كل قولٍ.

- إن كنت تطلب مني تفسيراً عن الله، فأنا لا أعرف؛
و لست أغتاظ لأني لم أعرف.
- لا يحزنني أنني لا أقدر أن أفسره كما هو؛
و لا أيضاً يتم لي أن أطلب لأعرف، جل وجوده،
- الذي يطلب ما لا يستطاع هو حتماً لم؛
وأنا لم أطلب تفتيشاً، ولم أحزن لكوني لم أعرف.
- بهذا أفتخر أن إلهي لا يُحد من أحدٍ؛
وكلما يفتشون خبره يهرب من التفسير.
- كنت أغتاظ لو فتشه أحد أو فحصه؛
كنت أحزن لو ثَمَّ أحد يحدّه.
- لو فحصه كان ينقص بعيني من السجود له؛
بهذا هو يعظم لي: أنه كلما يفتشونه يختفي!
- لهذا يليق بالحقيقة أن تسجد الشعوب؛
لأن جميع المحاسبين بسوء الهند لم يفحصوه.
- هذا بالحق هو الإله على الخليقة؛
لأن جنس المخلوق لم يفحصه كيف هو.
- لهذا يليق أن تنحني وتسجد جميع المسكونة؛
لأن في خبره يتعب الدارس ولا يُفتش.
- مرتفعٌ هو خير ابن الله عن الدارسين؛
لماذا تتسحقرن لتفتشوا خفيته؟
- انظروا الرسول إنه أبعد خبره من التفسير؟

ودعاه "كلمة" غير مُدرَك من الفاحصين.

يوحنا انتفخ بالروح ليتكلم،
عن الكلمة الذى لا تحده جميع الأفواه.
نظر خبره مرتفعاً ومختفياً من جميع الأفواه؛
وكتبه "الكلمة"، لكى بالخفية تنحفظ جميعها.

يتسحق المعلمون والمفتشون بحثٍ عظيم؛
وكلما يطلبون لا يتفسر من كلامهم.
ولا أيضاً لكلمتك الخاصة تفحص أيها السامع؛
وإذ هى لك، تفسيرها أرفع منك.
أنت ترسلها على أمور أفعالك؛
وهى لا تترك حصن نفسك ولا تخرج منك.

لم تنقطع من الضمير عندما أرسلتها؛
بل تثبت وتلهو فى العقل الذى أرسلها.

مبارك هو "الكلمة" مع مرسله!

٢- على الوحيد الكلمة

-

- لم تُنطق كلمة ربما من الناطقين ؛
لأن خيره مخفي ، وأيضاً حين أتى جسد انياً ،
- مَن يستطيع أن يمتحص خفية الكلمة ؛
لأن حين تتكلم تختفي هي باستتارها ،
- لا تنقطع الكلمة ولا تخرج من قائلها ؛
لأنه إذا ما أرسلها تبقى عنده كما هي .
- القلب هو يرسل الكلمة إلى اللسان ؛
ومن الأفكار تتحرك لتخرج إلى البرانيين ،
- اللسان كالواسطة يُخرج الأسرار الخفية ،
لتأتي للظهور بالصوت خارجاً .
- بين الأسنان واللسان ينطلق الصوت ،
وكمثل الوسول يكون للكلمة إلى السماع .
- تُفتح أبواب الآذان قدام الكلمة لتدخل ؛
فتدخل وتحل حيث لا تجدها الأماكن .
- هي بمُرسلها مخفية جميعها ومحفوظة فيه ،
وجميعها حالة في المسمع الذي أتت إليه .
- هي قائمة جميعها في نفس مُرسلها ؛
وحالة جميعها في النفس الأخرى التي قبلتها .

- لم تفتتها لا الأسنان ولا اللسان ولا الجو؛
  حيث من الفم إلى الأذن خرجت.
- لم يضغطها باب الآذان حين دخلت فيه؛
  ولا تغيّر عَرَضٌ على ذاتها أين حلّت.
- خفيةً هي وظاهرة، وحين تنطق خبرها تخفي؛
  ولا أجهدها الصوت يقدر أن يزعجها ويسكتها،
- حين هو حاملها تظل مخفية منه بامتثارها؛
  ولا يستطيع أن يحل عندها.
- في الأماكن معها ولا يعرف من أي مكان خرجت؛
  ولا يقدر أن يدخل ليبصر أين هي حالّة الكلمة.

الكلمة صار جسداً

- ابن الله هو الكلمة غير المنطوق به؛
  أتى إلى العالم حيث لا تحبسه الأماكن.
- خرج الكلمة من عند الآب وأتى وحلّ في الصبية؛
  وكان في الصبية وكان في أبيه ولم ينطق به.
- من حيث هو الآب، هو الكلمة معه؛
  وليس مكان ولا زمان لم يوجد الكلمة معه.
- ليس ثَمَّ فمٌ يعرف أن يقول مِن ومتى؛
  ولا لسان يفسر كيف هو.
- إنه هو وكيف هو بغير تفسير؛

وأى مَن يقول كيف هو ، بالضلالة يضل .

- أتى الكلمة من خفية أزليته ؛
وبقى فى حضن الآب خفياً كما هو ،
- حلّ جميعه فى الحضن الشاق بالعذراء ؛
وليس أنه انقسم ، بل ثبت بغير تقسيم .
- هو جميعه فى الأم الصبية حاملته ؛
وهو جميعه فى أبيه ، وخفى بوالده .
- هو فى الآب ، وهو فى الأم بدهش عظيم ؛
عملٌ لم يكن إلا فى الواحد الوحيد .
- قبلت العروس الرسالة المكتوبة ؛
وحلّ هناك كالمحدود وهو غير محدود .
- تُرسَل الكلمة الخفية داخل الرسالة ؛
ومَن يقول أن الكلمة ليست هى هناك جميعها .
- موضوعة هى جميعها داخل الرسالة بالكتابة ؛
وأيضاً تَظهر وتُمسَك من كثيرين ،
وبغير جسمٍ مَن يستطيع أن يمسكها .
- الكلمة الذى أتى وصار جسداً ، داخل الرسالة
أعطى نفسه ؛ نظرته العيون ومسكته الأيادى .
- ابن البتول صار كمثل الكلمة داخل الرسالة ؛
تَجسَّد فيها كمثل الكلمة بالكتابة وأتى للظهور .
- ذاك المخفى مع والده أظهر نفسه للعالم ؛

لينظروه ويتحيزو فيه ويمسكوه بالأيادى ؛
لأنه تجسّم من ابنة داود ؛
وكمثل الكلمة بالكتابة نظروا خفيته .

الكلمة كرسالة مكتوبة

- أين أنتِ أيتها الكلمة وبأى مكان يطلبكِ الانسان ؛
بمُرسلكِ أو بقابلكِ أو بالرسالة ؟
- خفية أنتِ وظاهرة ، ولم تُدرَكى ولم تُفحَصى ؛
هل لكِ حد أو بالحق أنتِ فوق الحدود ؟
- لَمّا أُرسلتِ لم يتفرغ منكِ المكان ؛
ولَمّا تجسمتِ بالكتابة لم تتغيرى .
- مَسَكتكِ الأيادى بالكتابة وأنت خفية ؛
نَظَرتكِ العيون داخل القراءة ولم تُدرَكى .
- عند قائلكِ احتفظتِ جميعكِ ، وخبركِ خفى ؛
وبسامعكِ اختفيتِ جميعكِ ، ومَن يفحصكِ .
- أتيتِ من مكانٍ لمكان آخر ظاهراً ؛
وأنتِ فى الموضعين (كائنة) بالفعل .
- ممتلئ منكِ المكان الذى أرسلكِ ، ويحبكِ ؛
وخبركِ ظاهر فى المكان الذى قبلكِ ، ويكرمكِ .
- جعلتِ لكِ جسماً لتتخدم بكِ الأماكن ؛
وسهلٌ لكِ أن تحلّى جميعكِ هنا وهناك .

مَن كَتبكِ وكيف كَتبتكِ كاتبتكِ ؟
وكيف اصطادكِ وكيف مسككِ لمّا كتبكِ ؟
كيف وضعكِ كاتبكِ داخل الرسالة وجسمكِ هناك؛
وعقد وألقى الختوم في وجهكِ ؟
هوذا بالرسالة الكلمة مخفية من كثيرين ؛
وتحت الختم محفوظة بالسر قبل أن تظهر .
ومصوّر هناك مثال حُسن الوحيد ؛
الذى هو "الكلمة" ابن الله.
حالّ في مريم كمثل الرسالة ؛
واختمت هي بالبتولية كمثل الرسالة؛
واذ الختوم ثابتة خرج بالقداسة.

تجسد الكلمة

ابن الله الذى هو الكلمة حَلّ من الآب ؛
وحَلّ في بطن مريم الطهرانية قدساً.
دخل من الآذان كالكلمة المخفية داخل الرسالة ؛
وصارت مجسودة ومطبوعة وختومة.
جسّم ذاته من جسم الطوبانية بالأعضاء ؛
كمثل القول بالكتابة.
الكلمة المخفى من الناظرين أتى للنظر ؛
وكل من نظر وقرأه يعرف أنه الله.

- ولكي يفهم داخلو العالم خبر طريقه ؛
  قام ابن الرعد وأظهر للأرض كلها أنه "الكلمة".
- أظهر أن الكلمة التي لم تُمسَك ولم تُنظر ولم تُحَدَّ
  في الأماكن ، قد أتت وصارت جسماً بالكتابة.
- بالقصد جَسَّمت ذاتها ، وأعطت نفسها للمجسة
  والمهدس والقراءة ؛ ينظرها الكل ويقرأونها ويمسكونها.
- صارت محبوسة ومسكوها في الأماكن ؛
  ويحملونها على أيديهم ويحفظونها.
- ولأجل أنها أتت وصارت جسداً داخل الرسالة ،
  حدَّها مكانها ؛ حيث طبيعتها هي فوق الحدود.
- إذ تُفحص تختفي من فاحصيها ؛
  وإذا ما قُرأت توجد جميعها عند المتعلمين.
- هي جميعها في الكتابة عند القارئين ؛
  ومحفوظة هي في كاتبها ومرتفعة من الناظرين.
- الكلمة هي في النفس وطبيعتها فيها موجودة ؛
  ومن أزلية النفس لا تخرج عندما تظهر.
- حيث هي النفس (كائنة) هي الكلمة معها ؛
  لا تصبو ولا تشيخ من أزليتها.
- كما الابن في الآب بغير ابتداء ؛
  هكذا الكلمة في النفس من حين هي.
- ذلك التلميذ الذي كان يحب ابن الله ويعرفه ؛

من أجل هذا دعاه "الكلمة".

- مرتفعة هي الكلمة من المصوّرين الذين يُصوّرونها؛
  وهكذا مرتفع هو نطقها من الحكماء.
- لم يقدر أحد أن يقيّد مثالها من الأدوية؛
  ولا تفسيرها يأتي إلى الظهور من المدرسين.
- من أجل الكلمة بالحب فليتكلم المتكلم؛
  لأنه حسنٌ بالحب أن يتكلم بغير جدال.
- الكلمة خفيةٌ وتأتي للظهور بالكتابة؛
  وكل أحد ينظرها ويمسكها ويقرأها.
- مختفٍ بأزليته هو الوحيد من الناظرين؛
  أتى بالجسد ونظروه وجهاً لوجه.

الكلمة الأزلي

- نظروه بالعيون ومسكوه بالأيادي؛
  لأنه تجسّد وصار جسداً وحلّ فينا ولم يتغير.
- هو خفي وظاهر؛ منتفع ومخوف وممتلئٌ دهشاً؛
  أتى للظهور وهو مخفي ولم يُنطق.
- إذا ما تقدّمه الإيمان صار ظاهراً؛
  وإن دخل بعده التفتيش صار خفياً،
- إنّ الفاحص يوقظ خبره، ينحجب؛
  وإنّ الحب يحرك تمجيده، يُري نفسه.